



الكنيسة الانجيلية بقصر الدوبارة

سلطان الله ومسئولية الانسان

الحلقة الأولى

انتهينا من دراسة شخصية الله التي هي العمود الفقري في العلاقة معه، فتعرفنا على شخصية الله هو بمثابة ادراك وفهم للقوانين التي يدير بها الكون بكل ما فيه، فهذا الشخص الغير محدود الذي هو خالق الكون يدعونا إلى علاقة ارتباط معه ومعرفة به وحب له.

أما في هذا الموضوع الذي نبدأ في دراسته فسوف نتعرض لقضية تسبب الكثير من الحيرة والارتباك للكثير من الناس. هذه القضية رغم أنها معقدة جداً إلا أنها تمس جانب كبير من واقعنا العملي في الحياة. وفي تناولنا لهذه القضية سوف نجيب على الكثير من الأسئلة التي تواجهنا في حياتنا مع الله. وموضوع القضية هو سلطان الله ومسئولية الانسان، فهل الانسان مسير أم مخير؟ هل الانسان مثل قطع الشطرنج التي يُحركها الله كما يشاء دون أي إرادة من الإنسان؟ هل الحياة عبارة عن فيلم قد سبق الله بكتابة السيناريو الخاص به ويستخدمنا لكي نلعب أدواره المختلفة؟ هل الزواج هو قسمة ونصيب وعلى الانسان الرضا بما قسم الله لكل شخص منا أم أنه يتركنا نختار شريك الحياة؟ هل الله قضى بالأمور أن تحدث وقدرها للإنسان بغض النظر عن إرادة الإنسان؟ أو بمعنى آخر كيف يتوافق سلطان الله مع مسؤولية الإنسان؟

هل السلطان الإلهي كامل وحرية الإنسان محدودة؟

أم هل السلطان الإلهي محدود وحرية الإنسان كاملة؟

أم هل السلطان الإلهي كامل وحرية الإنسان كاملة؟

الأسئلة السابقة هي مجموعة من الاسئلة الفلسفية التي نجاب عنها دائما بفكر المقدر والمكتوب أو القضاء والقدر وغيرها من الأفكار الخاطئة الفاسدة التي تضللنا وتعصف بنا في طريق الحياة مع الله، لأن طرق تفكيرنا وإجابتنا على الأسئلة السابقة تدين الله وتشوه صورته أمام عيوننا، فعدم التوازن بين سلطان الله وبين مسؤولية الانسان سوف ينشئ عنه الكثير من السلوكيات المريضة والعقائد المشوهة عن الله.

إذا سلمنا بأن سلطان الله كامل وحرية الإنسان محدودة، كيف يحاسبنا الله على أفعالنا وأخطائنا، وكيف نكون مسئولين عن مصيرنا الأبدي وحريرتنا في إتخاذ قراراتنا المحدودة؟! وإذا فرضنا أن حرية الانسان غير محدودة وكاملة وأنه يستطيع أن يفعل ما يشاء وقتما يشاء، فكيف يسمح الله بهذه الفوضى وكيف يسمح صاحب السلطان بأن يتنازل عن سلطانه للانسان المحدود؟!!

من الرائع أن نعرف أن الكلمة المقدسة تجاوبنا وتفك لنا طلاسماً هذا الموضوع الشائك المعقد، فدعونا نسلم أذهاننا إلى الروح القدس لكي يعلن لنا من الكلمة المقدسة كيف يجاوبنا الله عن هذا الأمر ولنبدأ بالحقيقة الأولى.

أولاً: الله كلي القدرة وكلي السلطان

كلي القدرة

هذا ما عرفناه وفهمناه في الدراسة الخاصة بشخصية الله، فلقد رأينا كيف أن الله كلي القدرة ولا يعسر أمامه أمر، وسوف نستعرض معاً بعض الآيات التي تؤكد هذه الحقيقة:

- "وَقَالَ يَعْقُوبُ لِيُوسُفَ: اللَّهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ظَهَرَ لِي فِي لُوزٍ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ وَبَارَكَنِي". (تك ٤٨ : ٣)

- "مَنْ إِلَهٌ أَبْيَكَ الَّذِي يُعِينُكَ وَمِنْ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ الَّذِي يُبَارِكُكَ تَأْتِي بَرَكَاتُ السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ وَبَرَكَاتُ الْغَمْرِ الرَّابِضِ تَحْتَ. بَرَكَاتُ النَّدْبِيِّينَ وَالرَّحِمِ". (تك ٤٩ : ٢٥)

- "قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يَعْسُرُ عَلَيْكَ أَمْرٌ". (أي ٤٢ : ٢)

- "وَأَكُونُ لَكُمْ أَبًا وَأَنْتُمْ تَكُونُونَ لِي بَنِينَ وَبَنَاتٍ يَقُولُ الرَّبُّ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ"
(كو ٦ : ١٨)

- "قَائِلِينَ: نَشْكُرُكَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، لِأَنَّكَ أَخَذْتَ قُدْرَتَكَ الْعَظِيمَةَ وَمَلَكَتْ" (رؤ ١١ : ١٧)

كلي السلطان

- "آيَاتُهُ مَا أَعْظَمَهَا وَعَجَائِبُهُ مَا أَقْوَاهَا! مَلَكُوتُهُ مَلَكُوتٌ أَبَدِيٌّ وَسُلْطَانُهُ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ". (دا: ٤١: ٣)

- "وَعِنْدَ انْتِهَاءِ الْأَيَّامِ: أَنَا نَبُوخَذُ نَصْرٌ رَفَعْتُ عَيْنِيَّ إِلَى السَّمَاءِ فَرَجَعَ إِلَيَّ عَقْلِي وَبَارَكْتُ الْعَلِيَّ وَسَبَّحْتُ وَحَمَدْتُ الْحَيَّ إِلَى الْأَبَدِ الَّذِي سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ وَمَلَكُوتُهُ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ. وَحُسِبَتْ جَمِيعُ سُكَّانِ الْأَرْضِ كَلَا شَيْءٍ وَهُوَ يَفْعَلُ كَمَا يَشَاءُ فِي جُنْدِ السَّمَاءِ وَسُكَّانِ الْأَرْضِ وَلَا يُوجَدُ مَنْ يَمْنَعُ يَدَهُ أَوْ يَقُولُ لَهُ: مَاذَا تَفْعَلُ؟" (دا: ٤١: ٣٤، ٣٥)

- "فَأَعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِنَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالْأُمَمِ وَالْأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ وَمَلَكُوتُهُ مَا لَا يَنْقَرِضُ". (دا ٧: ١٤)

_ "..... وَسُلْطَانُهُ مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ وَمِنَ النَّهْرِ إِلَى أَقَاصِي الْأَرْضِ". (زك ٩: ١٠)

- "مُتَسَلِّطٌ بِقُوَّتِهِ إِلَى الدَّهْرِ. عَيْنَاهُ تُرَاقِبَانِ الْأُمَّمَ. الْمُتَمَرِّدُونَ لَا يَرْفَعْنَ أَنْفُسَهُمْ". (مز ٦٦: ٧)

- "فَتَقَدَّمَ يَسُوعُ وَكَلَّمَهُمْ قَائِلًا: دَفَعَ إِلَيَّ كُلُّ سُلْطَانٍ فِي السَّمَاءِ وَعَلَى الْأَرْضِ" (مت ٢٨: ١٨)

- "لَأَنَّهُ يَقُولُ لِمُوسَى: «إِنِّي أَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ وَأَتَرَّافُ عَلَى مَنْ أَتَرَّافُ». فَإِذَا لَيْسَ لِمَنْ يَشَاءُ وَلَا لِمَنْ يَسْعَى بَلْ لِلَّهِ الَّذِي يَرْحَمُ". (رو ٩: ١٥، ١٦)

هل يوجد حدود لسلطان الله؟

هل كلية سلطان الله وقدرته الغير محدودة تجعله يفعل ما يشاء وقتما يشاء؟

وإن وجد هذا الأمر الذي يقيد سلطان وقدره الله فما عساه يكون هذا الأمر الذي يستطيع أن يقف أمام الله؟ هل يوجد من يملك سلطان أعلى من سلطان الله أم أن الله نفسه هو الذي

يفعل هذا؟ دعونا نتقدم رويداً رويداً للإجابة على كل هذه الأسئلة المحيرة، ومنتقل إلى الحقيقة الثانية

ثانياً: الله الخالق وضع قوانين لحكم الخليقة

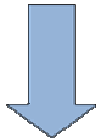
كما عرفنا وتعلمنا أن الله هو الخالق الوحيد لهذا الكون، فقد خلق السموات والأرض وكل ما فيها. في الأصحاح الأول والثاني من سفر التكوين يتحدث الوحي عن خلق الله للعالم وأيضاً في سفر الرؤيا يؤكد الوحي هذه الحقيقة:

– «أَنْتَ مُسْتَحَقُّ أَيُّهَا الرَّبُّ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لِأَنَّكَ أَنْتَ خَلَقْتَ كُلَّ الْأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَائِنَةٌ وَخُلِقَتْ». (رؤ ٤: ١١)

والله لم يخلق الخليقة بكل ما فيها فقط، بل أيضاً وضع لها القوانين اللازمة لحكم هذه الخليقة، فوضع القوانين التي تحكم حركة الشمس والقمر وكل الكواكب والنجوم التي تسبح في الفضاء، لذلك لا تتصادم هذه الكواكب والنجوم مع بعضها البعض بل تسير وتتحرك وفقاً لنظام وقانون محكم ذاتي العمل، بمعنى أن القانون ينفذ نفسه بنفسه، فلا يحتاج الله في أي وقت أن يرسل ملائكته كي ينفذ قوانينه التي وضعها لحفظ الكون. أيضاً القوانين التي وضعها الله لحكم المادة وحركة الالكترونات حول النواة، هي قوانين في غاية الدقة وكلها تعمل بشكل تلقائي ولا تحتاج من الله أن يفعلها في أي وقت من الزمن، فلقد خلق الله كل شيء وخلق معه قانونه الذي يفعله ويشغله.

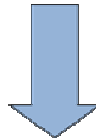
في الأصحاح الأول من سفر التكوين والثاني نستطيع أن نميز ثلاثة أنواع من الخلائق في عالمنا وكوكبنا الذي نعيش فيه وهي:

الخليقة الأدبية
لها إرادة حرة



القانون الأدبي الذي يحكم العلاقات بينها وبين بعضها وبينها وبين الله

الخليقة البيولوجية



قوانين الحياة والغريزة التنفس، الإخراج، ...

الخليقة الغير بيولوجية
"المادية"



قانون الجاذبية وقوانين الكهرومغناطيسية

🔲 نلاحظ في الخليقة الغير بيولوجية "المادية" أن القوانين الخاصة بها هي قوانين مطلقة أي تنفذ نفسها بنفسها ولا تحتاج من الله أن يتدخل لتنفيذها كلما استدعت الحاجة. ونلاحظ أيضاً أن الخليقة البيولوجية "الكائن الحي" خاضعة للقوانين التي تحكم الخليقة الغير بيولوجية "المادية" مثل الجاذبية، فالخليقة البيولوجية لا تستطيع أن تتجاهل قانون الجاذبية بل يجب عليها أن تخضع له وتحترمه، لكن الخليقة الحية البيولوجية لا نخضع فقط للقوانين المادية بل أيضاً وضع الله مجموعة أخرى من القوانين التي هي قوانين الحياة والغرائز والتنفس والإخراج والتكاثر وقد وضعها الله عندما خلق الخليقة لكي تحفظها وتحكمها. أيضاً نستطيع أن نميز نوع آخر من الخلائق خلقه الله ألا وهو الإنسان الذي هو رأس الخليقة وتاجها، فهو الوحيد المخلوق على صورة الله وله شخصية أدبية تميزه كشخصية الله الأدبية، فلا نستطيع أن نخلط بين خلق الله للحيوانات وبين خلقه للإنسان، فقد أثبت العلماء أن الفرق في التطور بين الشمبانزي الذي هو من أذكى المخلوقات وبين الإنسان كالفرق بين ورقة الشجر وبين الشمبانزي فبينهما مشوار طويل من التطور والإبداع وبينهما الكثير من الكائنات الدقيقة والمعقدة على الرغم من أنه لا يوجد كائن حي بين الشمبانزي والإنسان، فالإنسان خاضع للقوانين المادية وخاضع أيضاً للقوانين البيولوجية لأنه كائن حي له شخصية أدبية وعنده البعد والإحساس الأخلاقي وله القدرة على الاختيار والإبداع، لذا سُمي بالكائن الأدبي. وكما وضع الله القوانين المادية لحكم العالم المادي ووضع قوانين الحياة لضبط الخليقة البيولوجية، وضع أيضاً القوانين الأخلاقية لحكم الكائن الأدبي وتنظيم العلاقة بينه وبينها، وبينها وبين باقي الخلائق الأخرى باعتباره الأسمى بين المخلوقات، وبينه وبين مثيله.

🔲 ولأن الله هو واضع كل هذه القوانين سواء المادية أو البيولوجية أو الأخلاقية، فهو يحترم هذه القوانين التي وضعها ويتعامل معها ومن خلالها ولا يسمح لنفسه على الإطلاق أن يكسر أي منها أو يستهين بإحداها، وهذا على النقيض تماماً من الذي يحدث في مجتمعاتنا، فواضع القوانين يعتبر نفسه أعلى من القانون وبالتالي يعطي لنفسه كل الحق أن يكسره وقتما يشاء وكيفما يشاء. الله لم يجبره أحد على

وضع هذه القوانين بل هو الذي وضعها بنفسه ويريد الجميع أن يحترموها ويخضعوا لها، لذلك فالله فهو أول شخص يحترم هذه القوانين وبالطبع هذا لا يقلل من شأنه أو إمكانياته في أي شيء.

🚩 ولقد رتب الله القوانين المادية والبيولوجية والأدبية ترتيباً من حيث الأهمية والسلطان، فوضع القوانين الأدبية والأخلاقية فوق القوانين المادية والبيولوجية وأيضاً القوانين البيولوجية فوق القوانين المادية.. لقد أعطى الله سلطان أعلى للقوانين الأدبية على القوانين البيولوجية والمادية، وكذلك أعطى سلطان أعلى للقوانين البيولوجية على القوانين المادية، بمعنى آخر يتدخل الله من أجل القوانين الأدبية في القوانين البيولوجية والمادية ومن أجل القوانين البيولوجية يتدخل في القوانين المادية.

هنا فقط نستطيع أن نجابو على السؤال السابق الذي هو: هل يوجد حدود لسلطان الله أو هل يوجد من يُحد الله؟

للإجابة على هذا السؤال نقول: نعم، يوجد من يُحد الله في قدرته وسلطانه.. وهذا الأمر هو القوانين التي وضعها هو بنفسه، فهو بنفسه وإرادته وسلطانه يختار أن يكون سلطانه محدد بالقوانين التي وضعها لكي ينظم العلاقات بينه وبين الخلائق المختلفة، علماً بأن هذه القوانين كاملة وبارعة لأنها صادرة عن إله كامل وبارع. وهنا يتدخل الله في القوانين بحسب الترتيب الأعلى من حيث السلطان لهذه القوانين، فربما يتدخل الله ليكسر قانون من القوانين المادية لمصلحة قانون من القوانين البيولوجية أو أن يتدخل ليكسر قانون من القوانين البيولوجية لصالح قانون من القوانين الأدبية والأخلاقية، وهذا ما نراه بوضوح في (خر ١٤: ٢١، ٢٢):

- "وَمَدَّ مُوسَى يَدَهُ عَلَى الْبَحْرِ فَأَجْرَى الرَّبُّ الْبَحْرَ بِرِيحٍ شَرْقِيَّةٍ شَدِيدَةٍ كُلَّ اللَّيْلِ وَجَعَلَ الْبَحْرَ يَابِسَةً وَأَنْشَقَّ الْمَاءُ. فَدَخَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي وَسْطِ الْبَحْرِ عَلَى الْيَابِسَةِ وَالْمَاءُ سُورٌ لَهُمْ عَنِ يَمِينِهِمْ وَعَنْ يَسَارِهِمْ".

فالله هنا كسر قانون من القوانين المادية عندما أتى بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة. لقد كسر الله القانون المادي من أجل قانون أدبي ينظم علاقته بالإنسان،

فمن أجل موسى عبده الذي وقف أمامه وأمن به وبقدرته صنع الله هذا، وبدون موسى لم يكن ليصنع الله هذه الآية ويكسر القانون المادي.

برهان آخر:

– "فَتَقَدَّمُوا وَأَيَّقُطُوهُ قَائِلِينَ: «يَا مُعَلِّمُ يَا مُعَلِّمُ إِنَّا نَهْلِكُ!» فَقَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيحَ وَتَمَوَّجَ الْمَاءِ فَانْتَهَيَا وَصَارَ هُدُوءٌ" (لو ٨: ٢٤)

هنا الرب يسوع بنفسه الذي هو الله الظاهر في الجسد، كسر قانون مادي وانتهر الريح والبحر فصار هدوء... كل هذا بسبب أن تلاميذه خافوا أن يهلكوا فأيقظوه صارخين طالبين معونته، فكسر القانون المادي لأجل قانون أدبي أخلاقي لصالح الانسان، وهذا ليس معناه أن الله يكسر قوانينه في الوقت الذي يشاء، بل هو لا يكسر القانون المادي أو البيولوجي إلا لصالح القانون الأدبي، وهذا ما يحدث عندما يقرر الله أن يشفي شخص ما فيكسر القانون البيولوجي لصالح القانون الأدبي.

وإلى اللقاء في الحلقة القادمة حيث نتناول بالتفصيل ما هو القانون الأدبي كما تكلم الله عنه في الكتاب المقدس